﴿إِنَّ هـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾

بين النَـــقْل القِرائـــيّ

والدَّرْس اللغويّ: قديما وحديثا

إعداد

أ.د : محمد عبد الواحد الدسوقي

أستاذ أصول اللغة

ووكيل كلية اللغة العربية ـ بالمنوفية ـ

للدراسات العليا والبحوث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تمهيـــــد

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وتلقاه رسوله ﷺ ولُقِّنَه بأفصح لغات العرب ضبطا وأداءً ؛ وبلاغة وبيانا؛ فلم يتسرب إليه باطل من بين يديه ولا من خلفه.

وهذا الكتاب الأجل : (القرآن الكريم) قد نزل بالعربية، على لغات منها شتى، ومن قواعدها أن الاسم المثنى يُرفع بالألف، ويُنصب ويُجر بالياء، فمن الرفع : قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ﴾ [يوسف:٣٦]، ومن النصب : ﴿...وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ...﴾ [الرعد:٣] ، ومن الجر : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزُّخرُف: ٣١] .

وأسماء الإشارة من المبنيات، وأعرب المثنى منها : هذان، وهاتان، ومعنى إعرابهما أن يقال: هـٰذان وهاتان بالألف رفعًا، وهـٰذين وهاتين بالياء نصبًا وجرًّا[(١)].

وتبحث هذه الدراسة في نزول بعض قراءات القرآن الكريم المتواترة على لغة بعض القبائل، بصورة من صور إعراب المثنى، اعترض بعض اللغويين عليها، فعرضت هذه الدراسة ما قيل، وردت بما ينبغي أن يقال، وهو ما تعرضه هذه الدراسة؛ لتقف على الحق فيها والحقيقة، وإلى بيان ذلك :

قراءة ﴿إِنَّ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ :

في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ [طه:٦٣] قرأ جمهور قراء التواتر: (إِنْ هَٰذَٰنِ) بتشديد النون من(إنّ)، وبألف بعد الذال في (هَٰذَٰنِ)[(٢)].

---

(١) شرح المفصل ٣/ ١٢٨.

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ، تح: الشيخ الضباع٢/ ٣٢١، ط. المطبعة التجارية الكبرى ، تحبير التيسير / ١٤٠.

وقياس القاعدة النحوية إذا شُدِّدت (إنّ) أن ينصب اسمها (هَذَيْنِ) بالياء، إذا كان مثنىٰ؛ فيقال: هذَيْن، علىٰ ما ثبت في قراءة أبي عمرو بن العلاء [(٦٨ ـ ١٥٤هـ] البصري: {إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ} [(١)].

وتجهم بعض العلماء قراءة (هَذَانِ) بالتشديد وبالألف قبل النون في (هَذَيْنِ)، فقال أبو شامة [٥٩٩ ـ ٦٦٥ هـ] بعد ما ذكر عدة توجيهات لهذه القراءة : " فبان لمجموع ذلك ضعف هذه القراءة "[(٢)] وصفها بذلك لمقارنته إياها برواية حفص بتخفيف (إِنْ).

ومن قبله قال الأخفش الأوسط [.... ـ ٢١٥هـ] : " وقد شددها قوم، فقالوا : {إنّ هذان لساحران} وهذا لا يكاد يُعْرَف [(٣)]"، وما أَوْرَد لها تخريجًا إلا صدَّرَه بلفظ من الزعم ؛ إذ أورد ثلاثة آراء في توجيهها، كانت بداياتها بـ(يزعمون .... فزعموا .....وزعم) [(٤)].

وقال أبو عبيد : القاسم بن سلام [١٥٧ ـ ٢٢٤هـ] :" وهذا حرفٌ مُشْكِلٌ علىٰ أهل اللغة، وقد كَثُر اختلافهم في تفسيره[(٥)]".

ودَفَعَها آخرون رَفْضًا؛ آخذين بشُبَـهٍ حول كتابة المصحف[(٦)]، منها ما روي عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن " المصاحف لما نسخت عُرِضَت عليه، فوجد فيها حروفًا من اللحن[(٧)]، فقال: اتركوها، فإن العرب ستقيمها[(٨)] " وتلك أسباب واهية وشُبَهٌ مردودة ومردود عليها[(٩)].

ويتبين الرد علىٰ ما نسب إلىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قول أبي عمرو الداني [٣٧١ ـ ٤٤٤هـ] : " هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة ولا يصح به دليل، من جهتين :ـ

أحدهما : أنه ـ مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه ـ مرسلٌ؛ لأن ابن يَعْمُر [... ـ ١٢٩هـ[(١٠)]] وعكرمة[(١)] لم يسمعا من عثمان[(٢)] [٤٧ ق.هـ ـ ٣٥ هـ] شيئا ولا رأياه.

---

(١) مصدرا الهامش السابق.

(٢) إبراز المعاني ٥٩٣.

(٣) معاني القرآن للأخفش ١/ ١٢١.

(٤) السابق.

(٥) إبراز المعاني ٢/ ٥٩١.

(٦) " في الإعراب ومشكلاته " بحث لـ : د . أحمد علم الدين الجندي : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : العدد ٤٦، ص١٣٢: ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

(٧) مثل (إنّ هذان لساحران) [طه: ٦٣]، (والمقيمين الصلاة) [النساء : ١٦٢] ينظر : المصاحف ١٢٨.

(٨) المقنع / ١١٩، ينظر : المصاحف / ٣٢-٣٤.

(٩) المقنع / ١١٨-١٢٢.

(١٠) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب ٦/ ٢٨٣٧.

وأيضا : فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لما فيه من الطعن عليه، مع محله من الدين، ومكانه من الإسلام ... ... فغير ممكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظرًا لهم، ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنا وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده، ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده، هذا مالا يجوز لقائل أن يقوله ولا يحل لأحد أن يعتقده[٣]".

ثم إن " أَئِمَّةَ الْقُرَّاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْشَى فِي اللُّغَةِ وَالْأَقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ عَلَى الْأَثْبَتِ فِي الْأَثَرِ وَالْأَصَحِّ فِي النَّقْلِ وَالرِّوَايَةِ، إِذَا ثَبَتَ عَنْهُمْ لَمْ يَرُدَّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ وَلَا فُشُوُّ لُغَةٍ ; لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يَلْزَمُ قَبُولُهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا[٤]".

وفضلا عن ذلك فإن جمهور قراء التواتر قرأ (إنّ هَـٰذَانِ)، وهم :

* ـ ابن عامر : عبد الله بن عامر اليَحْصُبي[٨ ـ ١١٨هـ]
* ـ نافع بن عبد الرَّحْمَن بن أبي نعيم [... ـ من ١٥٠ إلى ١٧٠هـ].
* ـ أبو جعفر : يزيد بن القعقاع أبو جعفر المَدَنِيّ [٤٠ ـ بين ١٢٧ و ١٣٠هـ]
* ـ يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي [١١٧ ـ ٢٠٥هـ]
* ـ حمزة بن حبيب بن عُمارة أبو عُمارة الزَّيَّات [٨٠ ـ ١٥٦هـ]
* ـ الكسائي : عليّ بن حَمْزة بن عبد الله [... ـ ١٨١ أو ١٩٣هـ]
* ـ خلف بن هِشَام البَزَّار [١٥٠ ـ ٢٢٩هـ]
* ـ شعبة بن عَيَّاش [٩٥ ـ ١٩٣ أو ١٩٤ أو ١٩٥هـ] راوي عاصم.

بما يعني أن ٧٥٪ من أئمة القراءات المتواترة الصحيحة المقطوع بصحتها قرؤوا بها.

وتسابق العلماء –مشكورةً جهودُهم ـ في توجيه هذه القراءة، وتخريجها المخرج الصحيح، حتى تسلم (هَـٰذَانِ) بنطقها بالألف بعد (إنّ) الناصبة.

وقبل الدخول في عرض آراء العلماء، يجدر استعراض رسم المصحف، فقد ورد لفظ (هذان) في القرآن مرتين : ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ....﴿٦٣﴾ [طه:٦٣]﴾ ، و ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ...﴿١٩﴾ [الحج]﴾ ؛

---

(١) في المصاحف ٢٣١ أنه : عكرمة الطائي (؟)، ولم أهتد إلى ترجمته، وعدم العثور على ترجمةٍ له يجعل من المحتمل أن تكون شخصيته مجهولة أو يؤكد أن الخبر مكذوب على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويزيد ذلك تأكيدًا قول الداني : إن عكرمة لم ير عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فضلا عن أن يذكر في كتب تواريخ الرواة ضمن من حملوا الرواية عن عثمان.

(٢) تُرجِم ليحيى بن يعمر في معرفة القراء الكبار للذهبي ٣٧ ، ولم يُذكَر ليحيى بن يعمر سماع من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) المقنع ١١٩.

(٤) جامع البيان للداني ١/ ٥١، والنشر ١/ ١٠، ومنجد المقرئين ٧٧، والإتقان في علوم القرآن ١/ ٢٥٩.

فكتب موضع الحج ﴿هَٰذَانِ﴾ بألف بعد الذال، بينما كتب موضع سورة طه ﴿هَٰذَيْنِ﴾ بغير ألف بعد الذال، في محل الخلاف القرائي؛ لأن في (إن هَٰذَيْنِ) في طه قراءات أربع على ما هو مفصل في محله[(١)]؛ ولذا قال البنا الدمياطي عن رسم موضع طه : " لفظ هذان قد رسم في المصحف من غير ألف ولا ياء ليحتمل وجوه القراءات الأربع فيها[(٢)]".

وفي ما يأتي عرض لما قيل في (إنّ هَٰذَيْنِ) من توجيهات :

الرأي الأول : أن (إنَّ) بمعنى: (نَعَمْ) في بعض لغات العرب، والجملة التي بعدها {هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}، جملة مستقلة، واستشهدوا لذلك بالشعر والنثر[(٣)].

وبيَّن ذلك أبو شامة بقوله : " كأنهم لما: {تَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ} أفضى بعضهم إلى بعض ذلك فقال المخاطبون: نعم، هو كما تقولون أو قال لهم فرعون وملؤه: {هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}، فانظروا كيف تصنعون في إبطال ما جآء به فقالوا: نعم ، ثم استأنفوا جملة ابتدائية فقالوا: "هذان لساحران"[(٤)].

ومن الشواهد على ذلك قَول عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات [بعد ٢٠هـ ـ ٨٥هـ]:

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قد عَلَا ∴ كَ وَقد كَبرت فَقلت:(إِنَّهْ)[(٥)]

أَي : فَقلت : نَعَمْ ، والهاء في (إِنَّهْ) للسكت.

وعبد الله بن قيس الرقيات قرشي؛ إذْ كان شاعرَ قريش[(٦)] في العصر الأموي [٤٠ ـ ١٢٩هـ]، مما يعني أن (إنَّ) استعملت بمعنى: (نَعَمْ) في لغة قريش، وقريش ممن نزل القرآن بلغتهم[(٧)].

وَقَالَ آخر :

شَاب المفارقُ (إِنَّ إِنَّ) من البِلَى ∴ شَيْبُ القَذَالِ مَعَ العِذَالِ الْوَاصِلِ[(٨)]

أَي : نَعَمْ نَعَمْ "[(٩)].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ٣٨٤.

(٢) السابق.

(٣) الجمل في النحو المنسوب للخليل ١٣٣، الكشف ٢/ ١٠٠، إبراز المعاني / ٥٩٢، ٥٩٣، مجمع البيان ٤/ ٤/ ١١٢، حاشية الخضري ١/ ٤١.

(٤) إبراز المعاني ٥٩٢.

(٥) البيت من مجزوء الكامل، ديوانه ٦٦، والجمل في النحو ١٣٣، والكتاب لسيبويه ١/ ٤٧٥، وشرح أبيات سيبويه ٢/ ٣٧٥، ولسان العرب (أنن) ١٣/ ٣١.

(٦) الأعلام للزركلي ٤/ ١٩٦.

(٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري٩/ ٢٧.

(٨) البيت من الكامل وهو في الجمل في النحو للخليل بن أحمد ١٣٤ غير منسوب.

(٩) السابق.

وقال أبو جعفر النحاس [.... ـ ٣٣٨ هـ] : " وإلى هذا القول كان محمد بن يزيد [المبرد] البصري [٢١٠ ـ ٢٨٦هـ] و إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن يزيد [١٩٩ ـ ٢٨٢هـ]. البصري يذهبان، قال: ورأيت أبا إسحاق [الزجاج (٢٣٢ ـ ٣١١هـ)] وأبا الحسن علي بن سليمان : [الأَخْفَشُ الصَّغِيْرُ (... ـ ٣١٥ هـ)] يذهبان إليه[(١)]".

وعليه فهذا القول محكيٌّ عن جماعة من النحاة المتقدمين؛ ويدل على ذلك قول الخليل بن أحمد [١٠٠ ـ ١٧٠هـ] : "وَقد يكون (إِنَّ) فِي معنى نعم فِي بعض لُغَات الْعَرَب[(٢)]".

واعترض أبو شامة على أن (إِنَّ) بمعنى (نَعَمْ) قائلا : "هذا القول يضعفه دخول اللام في خبر المبتدأ[(٣)]"، يعني أن " اللام إنما حقها أن تدخل في الابتداء دون الخبر[(٤)]" .

واستنبط الزجاج لها تقديرًا يُرَدُّ به على اعتراض أبي شامة وهو أن التقدير: "إنَّ هذان لَهُمَا ساحران" فتكون اللام داخلة على مبتدأ وهو (هما) ثم حذف الضمير للعِلْم به، واتصلت اللام بالخبر دلالة على ذلك قال [الزجاج]: وكنت عرضته على عالِمَيْنَا محمد بن يزيد [المبرد] البصري [٢١٠ ـ ٢٨٦هـ] وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن يزيد القاضي [١٩٩ ـ ٢٨٢هـ] فقبلاه، وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا، وهو أن (إِنَّ) قد وقعت موقع (نَعَمْ)، وأن اللام وقعت مَوْقِعَهَا، وأن المعنى هذان لَهما ساحِرَانِ[(٥)]".

كما ورد ـ أيضا ـ أن المبرد استحسن هذا ، وقال: " أحسن ما قيل في هذا، أن يجعل (إن) بمعنى: نعم "[(٦)].

وبما سبق عرضه يتبين أن قول أبي شامة : " وإن حُمِلَت على: أنّ: (إنّ) بمعنى نعم، فهي لغة قليلة الاستعمال"[(٧)] لا إشكال فيه؛ حتى وإن كان يشم منه عدم قبول أبي شامة أن تكون (إنّ) بمعنى نعم ؛ إذ قال أبو شامة نفسه عن كون (إنَّ) بمعنى: (نَعَمْ): " وقد ثبت ذلك في اللغة[(٨)]"!! ؛ مما يدفع إلى القول بتدافع قولي أبي شامة، وأن كل واحد من رأييه يتعارض مع الرأي الثاني ويناطحه.

---

(١) إبراز المعاني ٥٩٣.

(٢) الجمل في النحو ١٥٨.

(٣)إبراز المعاني ٥٩٣.

(٤) الكشف لمكي ٢/ ١٠٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٦٣.

(٦) حجة القراءات ٤٥٥.

(٧)إبراز المعاني ٥٩٣.

(٨)السابق.

الرأي الثاني : أن (هذان) خبرُ إنّ، واسم إنّ ضمير الشأن؛ فالهاء هنا مضمرة، والتقدير : إنه هذان لساحران، قاله الزجاج، وقال بأنه مثل قولك: إنه زيد منطلق، ثم تقول: إنَّ زيدٌ منطلقٌ[١].

ورُدّ هذا ؛ لحذف ضمير الشأن، وهو الهاء من إنه؛ ووجود اللام في الخبر[٢].

وأجيب بأن الضمير موجود وهو: (إنها ذان) واسم الإشارة (ذان) خال من حرف التنبيه[٣].

فرُدّ بأن هذا يضعفه خط المصحف[٤]؛ لأنها مكتوبة (إِنْ هَٰذَٰنِ)؛ فعلى هذا تكون مخالفة له، ولغة القرآن أيضًا على خلاف ذلك، فألفاظ التثنية فيه على اللغة الفصيحة بالألف رفعًا وبالياء نصبًا وجرًّا، بدليل: ﴿... إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ ...﴿٢٧﴾[القصص]﴾، وقراءة أبي عمرو : {إنَّ هذين لساحران}[٥] فإنها إن حملت على تلك اللغة، فهي لغة مهجورة غير فصيحة "[٦].

الرأي الثالث :

وهو لأبي جعفر النحاس، وابن فارس، وغيرهما، وهو : أن قياس الإعراب: (إنَّ هَذَان) بلزوم الألف في التثنية فيقال: هذان، رفعا ونصبا وجرا، وهذا مبني على أن الأصل (هذا + (ان) للتثنية = هَذَاان) ، لأنه لما ثُنِّي هذا اجتمع ألفان : ألف هذا وألف التثنية؛ فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين، فمن قدر المحذوفة ألف (هذا) والباقية ألف التثنية؛ قلب ألف التثنية في النصب والجر ياءً، ومن قدر أن المحذوفة ألف التثنية، والباقية ألف (هذا) أبقى ألف (هذا) على كل حال رفعا ونصبا وجرًّا[٧].

ورد بأنه لو كانت هذه الألف محذوفة كذلك " لم تنقلب هذه الألف ياء في حالة الجر والنصب، ويدل على أن هذه الألف للتثنية، أن الألف التي كانت في الواحد قد حذفت، كما حذفت الياء من الذي والتي، إذا قلت: اللذان واللتان "[٨].

الرأي الرابع : وهو للفراء قال : " الألف من (هذا) دعامة وليست بلام فعل، فلما ثنيته زدت عليها نونا، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول في كل حال؛ كما قالت العرب (الذي) ثم زادوا نونا تدل على

---

(١) حجة القراءات ٤٥٥، مجمع البيان ٤/ ٤/ ١١٣.

(٢) البحر المحيط ٦/ ٢٥٥، إبراز المعاني ٥٩٣.

(٣) مصدرا الهامش السابق.

(٤) أي أنّ (هذا) مكتوبة غير منفصلة الهاء من الذال.

(٥) طه : ٦٣. وسبق أنها قراءة أبي عمرو. إبراز المعاني٥٩٣.

(٦) إبراز المعاني ٥٩٣.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٥، ٢٥٦، الصاحبي٢٩، مجمع البيان ٤/ ٤/ ١١٤، معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤، شرح التصريح ١/ ١٢٧، مغني اللبيب ١/ ٣٩.

(٨) مجمع البيان ٤/ ٤/ ١١٤، الكتاب ٣/ ٤١١.

الجمع؛ فقالوا (الذين) في رفعهم ونصبهم وخفضهم، كذا تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه، وكنانة يقولون (اللّذون) [١]".

قال أبوشامة : " وإنما اكتفوا بالنون في هذين الضربين [هذان، والذين]؛ لأنها لا تحذف لإضافة، ولما كانت النون تحذف من غيرهما للإضافة احتاجوا إلى ألف تبقى دلالة على التثنية [٢]".

الرأي الخامس : أن " (هذا) لما لم يظهر فيه الإعراب في الواحد والجمع [هؤلاء]، أجريت التثنية [هذان] على ذلك، فأُتِيَ بالألف على كل وجه من الإعراب، كما كان في الواحد والجمع [٣]".

كما أن هذا ليس بغريب على العربية؛ فقد اجتمع العرب على مثل قراءة (إنَّ هذان) وعكس باقيهم؛ يفسر هذا قول ابن مالك : "قد اجتمعت العرب على إثبات الألف في (كلا الرجلين) في الرفع، والنصب والخفض، إلا بني كنانة، فإنهم يقولون: (رأيت كِلَي الرجلين) و(مررت بكلي الرجلين)، وهي قبيحة قليلة، مضوا على القياس، فيجرون (كلا) مجرى المثنى مع الظاهر، كما يجريه الجميع مجراه مع المضمر، و(كلتا)في جميع ما ذكر مثل (كلا) [٤]".

الرأي السادس (**وهو يمثل الرد اللغوي الحديث**): أن المناسب أن تكون (هذان) بالألف؛ لأن فواصل سورة (طه) بنيت على صورة من الأداء الإيقاعي القائم على صوت المد (الألف) في جُلِّ فواصل السورة : (طاها ... تشقى .... يخشى ... العلى ... استوى) إلى أن تنتهي السورة بـ (نَخْزى ...اهتدى) باستثناء قليل من فواصلها؛ فناسب ذلك أن يكون أحد الأوجه القرائية (هذان)؛ لأن القارئ يتلو : "إن هاذان لساحران يريدان أن يخرجاكم..)؛ فتوالي المقاطع الصوتية الطويلة المفتوحة : (س ع ع) (ها.. ذا ... سا... را ... دا... جا ...) يناظر ما عليه نهاية فواصل سورة (طه)، وهذا يتوافق مع صوت المد (آ) ولا يتوافق مع صوت اللين (ذَيْ) من (هذَيْن) [٥] مما يدلل على أن لقراءة (هذان) وجهًا، مع صحته لغويا.

ومع أن هذا القول له جانب من الطرافة، إلا أنه لا يمكن القول برُجْحَانه؛ وخاصة أن صاحبه فسره بقلة أهمية العلامة الإعرابية، والاعتماد على التوازنات الإيقاعية، من خلال قوله : " تضافرت قرائن البنية والتَّضَامِّ والرُّتْبَة؛ فأُمِن اللَّبس؛ فأهدرت القرينة اللفظية، وهي العلامة الإعرابية، ولم يعد لها من الأهمية ما

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٧٩.

(٢) إبراز المعاني ٢/ ٥٩٢. والحذف للإضافة كما يقال (كِتَابَا محمدٍ) والأصل : كتابان لمحمد؛ فحذفت اللام تخفيفًا والنونُ للإضافة.

(٣) الكشف لمكي ٢/ ١٠٠.

(٤) شرح الكافية الشافية : ابن مالك : محمد بن عبد الله، الطائي (المتوفى: ٦٧٢هـ) تح : عبد المنعم أحمد هريدي١/ ١٨٧، ط١ : جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٥) بحث " في الإعراب ومشكلاته " : مجلة مجمع اللغة العربية ١٣١.

يحتم الاحتفاظ بها؛ لتكون هناك مناسبة صوتية في (هذان ساحران يريدان) والقرآن يحرص عليها لأنها مطلب من مطالب الأسلوب الأدبي، كما استعان القرآن بها على تأكيد المعنى، بوفاء الإيقاع وكماله الموسيقيّ .... والنظرة الموسيقية تؤكد تأثر الصيغة بجَرْسِ الحروف وتناسب الأصوات، ولا تأبه لمخالفتها قواعد النحاة، الذين يعنيهم الشكل والقالب، دون ما وراء ذلك من : لطائف، وإشارات، وأحاسيس، وأسرار[١]".

لكنه يبقى في النهاية رأيًا من ما قيل في توجيه القراءة.

وقيل في توجيه تلك القراءة ما يظهر ضعفه عن الآراء السابقة[٢]، ويرد عليه ببعض ما سبق.

الرأي السابع : أنها جاءت على لغة من يجعل المثنى بالألف دائمًا، من القبائل العربية؛ قال أبوشامة : " مدار الأقوال المنقولة عنهم في ذلك على وجهين :ـ

أحدهما : أن يكون (هذان) اسما لـ (أَنَّ) والآخر أن يكون مبتدَأً، فإن كان اسما لـ (أَنَّ) فلا يتوجه إلا على أنه لغة لبعض العرب؛ يقولون : هذان في الرفع والنصب والجر، كما يلفظون لسائر الأسماء المقصورة :كعصى وموسى، وكذا ما معناه التثنية نحو (كِلَا) إذا أضيف إلى الظاهر اتفاقا من الفصحاء، وإلى الضمير في بعض اللغات[٣]".

وهذا الرأي هو أرجح الآراء وأصوبها، وهو ما اختاره أبو حيان الأندلسي [٦٥٤ ـ ٧٤٥ هـ] وهو مذهب سيبويه[٤] [١٤٨ـ١٨٠هـ] ، وقال الزجاج حكى أبو عبيد : القاسم بن سلام [١٥٧ ـ ٢٢٤هـ] عن أبي الخطاب [الأخفش الأَكْبَر (... ـ١٧٧ هـ)] ـ وهو " من كبار العلماء بالعربية[٥]"، و " رأس من رؤساء الرواة[٦]"- حكى أنها لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد؛ يقولون آتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان ويقولون :ضربته من أذناه، ومن يشتري مني الخُفَّان[٧]".

وتعدد من نسبت إليه هذه اللغة، وربما نسبت إلى قبيلة واحدة، كبني الحارث بن كعب[٨] اقتصر على نسبتها إليها: الفراء[١]، والخليل بن أحمد[٢]، وأبو زيد الأنصاري[٣]، وأبو الحسن الأخفش[٤]،

---

(١) السابق.

(٢) ينظر : إبراز المعاني/ ٥٩٢، الكشف ٢/ ١٠٠.

(٣) ينظر : إبراز المعاني/ ٥٩٢، الكشف ٢/ ١٠٠.

(٤)إتحاف فضلاء البشر ٣٨٤.

(٥) الأعلام للزركلي٣/ ٢٨٨.

(٦) ينظر : إبراز المعاني/ ٥٩٢، الكشف ٢/ ١٠٠.

(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٣٦٢، والكشف ٢/ ١٠٠.

(٨) قد يطلق عليها بلحارث تخفيفًا، وكذا بلعنبر وبلهجيم في بني العنبر وبني الهجيم.

وأبو جعفر النحاس[٥]، وابن خالويه[٦]، وابن فارس[٧]، ومكي بن أبي طالب[٨]، والفارابي[٩]، والإستراباذي[١٠]، وشعلة[١١] في كنز المعاني، وابن هشام[١٢]، والأشموني، إذ قال: " وقبائل أخر[١٣]"، ولم يحددها!. والطبري، قال: إنها لغة بَلْحَارث بن كعب ومن جاورهم[١٤]، وعبر بعض الكتب بقوله: وأهل تلك الناحية، وأغلب هذه القبائل متجاورة وكنانة التي تشترك في هذا الإجراء هم بنو بكر بن عبد مناة؛ لأنهم هم المجاورون لبني الحارث بن كعب[١٥].

وأضاف الفارقي[١٦] إلى بني الحارث بعض بني سليم، وأضاف إليها الخضري[١٧] خثعم وزبيد، أما ابن جني[١٨] والبغدادي[١٩] فأضافا إليها بطنا من ربيعة، وكذلك ابن يعيش؛ إلا أنه قال: "...وبطون من ربيعة[٢٠]"، واقتصر الأزهري على نسبتها إلى خثعم[٢١].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤.
(٢) الجمل في النحو (المنسوب إلى الخليل) / ١٣٢ ونسب القول إلى ابن عباس.
(٣) النوادر / ٢٥٩.
(٤) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩١، ٢٩٢، ٢/ ٦٢٩.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٨، ٢٤٩، ٣/ ٤٥.
(٦) الحجة / ٢٤٣.
(٧) الصاحبي / ٢٩.
(٨) الكشف ٢/ ٩٩ مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٨٦.
(٩) ديوان الأدب ٢/ ٢٦١.
(١٠) شرح الكافية ٢/ ١٧٢.
(١١) كنز المعاني ٤٩٣.
(١٢) مغني اللبيب ١/ ٣٨.
(١٣) ١/ ٧٩.
(١٤) جامع البيان ١٦/ ١٨٠.
(١٥) مجلة الرسالة القبائل والقراءات : أحمد حسن الزيات : العدد ٣٨/ ٨٢٧.
(١٦) الإفصاح / ٣٧٦، ٣٧٧.
(١٧) حاشية الخضري ١/ ٣٨.
(١٨) سر صناعة الإعراب ٢/ ٧٠٤، ٧٠٦.
(١٩) خزانة الأدب ٧/ ٤٥٢ -٤٥٤.
(٢٠) شرح المفصل ٣/ ١٢٨-١٣٠، ١/ ٥٣.
(٢١) شرح التصريح ١/ ١٢٧.

وأورد أصحاب بعض المصادر نسبتها إلى كنانة، كأبي زُرْعة[١]، وأبي جعفر النحاس[٢]، والسيوطي[٣].

ونسبها آخرون إلى بَلْحَارث وكنانة معًا، كابن الجوزي[٤]، والعكبري[٥]، والطبرسي[٦]، والسيوطي[٧]، وابن الجزري[٨] ونسبها الفيومي[٩] إليهما وزاد خثعمًا، وكذا أبو حيان الأندلسي في بعض مصادره[١٠] وزاد عكلًا وطيئًا.

ونسبها العيني[١١] إلى: بَلْحَارث، وكنانة، وبلعنبر، وبلهجيم، وهمدان، وزُبَيْد، وخَثْعَم، ومُرَاد، وعُذْرَة، وبطون من ربيعة، وبنو العنبر فرع من قبيلة تميم[١٢]؛ فهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم.

وزاد السيوطي[١٣] على ما نسبه العيني: بكر بن وائل، ونسبت في إبراز المعاني[١٤] و بعض مصادر أبي حيان الأندلسي الأخرى[١٥] كما عند العيني إلا أنهما لم يذكرا بكر بن وائل، وهمدان، وبطون ربيعة.

أما القرطبي فنسبها إلى بَلْحَارث وكنانة وخثعم وزبيد[١٦] وبني عقيل[١٧]؛ فزاد عُقَيْلا.

---

(١) حجة القراءات / ٤٥٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥.

(٣) الهمع ١/ ٢١. ونسبها إلى قبائل أخرى تأتي بعد –إن شاء الله–.

(٤) زاد المسير ٥/ ٢٩٨.

(٥) إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٢٣، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٩٥.

(٦) مجمع البيان ٤/ ٤/ ١١٤.

(٧) الإتقان ١/ ٢٤١.

(٨) ابن الناظم، شارح الطيبة / ٢٨٢، ٢٨٣.

(٩) المصباح المنير (أبى) ١/ ٢١.

(١٠)تذكرة النحاة ٦٣٥.

(١١) شرح شواهد الأشموني ١/ ٧١.

(١٢) البحر المحيط ٨/ ٤١٨.

(١٣) همع الهوامع ١/ ٤٠ ، ولعله من ذكر الخاص بعد العام فبكر بن وائل بطن من ربيعة جمهرة ابن حزم / ٣٠٠، ٣٠٢، ٤٨٤.

(١٤) إبراز المعاني ٥٩١.

(١٥) البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.

(١٦) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١١/ ٢١٦.

(١٧) السابق ٤/ ٨/ ٣٢٠.

وقال ابن الأنباري[١]: هي لغة لبني الحارث، وافقتها لغة قريش.

قال أبو شامة: " وليست الحجة إلا في كونها لغة لبعض العرب "[٢]، ووصفها السيوطي بأنها " لغة مشهورة "[٣]، وقال النحاس[٤]، والطبرسي[٥]: " إذ كانت هذه اللغة معروفة، ومن أحسن ما قيل في الآية، وأجود ما حملت عليه[٦]".

والملاحظ أن من نسبوا إلى هذه اللغة من القبائل يتوزعون في سائر أنحاء جزيرة العرب، ويتضح ذلك من خلال عرض القبائل على الخارطة السابقة؛ مما يؤكد أنها كانت معروفة ومشهور ومنتشرة.

أما **رواة هذه اللغة** فهم: أبو الخطاب الأخفش، وهو رأس من رؤساء الرواة روى أنها لكنانة[٧]، وأهل الكوفة رووا أنها لبَلْحَارث، وذكر أبو عبيد أن الكسائي حكاها عن: بَلْحَارث، وخثعم، وزبيد، وأهل تلك الناحية[٨].

---

(١) زاد المسير ٥/ ٢٩٨.

(٢)إبراز المعاني ٥٩٢.

(٣) الإتقان ١/ ٢٤١.

(٤) إبراز المعاني ٥٩١.

(٥) مجمع البيان ٤/ ٤/ ١١٤.

(٦)إعراب القرآن للنحاس٣/ ٣٢.

(٧) إبراز المعاني ٥٩١، البحر المحيط ٦/ ٢٥٥.

(٨) مصدرا الهامش السابق.

وقال أبو جعفر النحاس: " قد حكاها من يُرتَضىٰ عِلمُه وصِدقه وأمانته، منهم أبو زيد الأنصاري، وهو الذي يقال: إذا قال سيبويه: حدثني من أثق به فإنما يعنيه "[١].

أما رواية الأخفش (أبي طالب) فهي سماع من عرب بني كنانة وغيرهم[٢]، وكذلك أبو زيد الذي قال عنها: " سمعت من العرب... "[٣].

فهذه اللغة إذن منقولة عن الناطقين بها بالسماع، ولكن المبرد أنكر هذه اللغة مطلقًا[٤]! وهو محجوج بنقل الأئمة السابقين[٥].

تفسير الظاهرة :

بناء علىٰ ما تقدم عرضه؛ فاستعمال هذه اللغة في جزيرة العرب كان في قطاع كبير منها، وعليه يتبادر إلىٰ النفس سؤال هو : هل هذه اللغة: إلزام المثنىٰ الألف، أو قلب الياء ألفًا؟.

الوارد عن العرب لم يقصر هذه اللغة علىٰ المثنىٰ، ولكنها سرت إلىٰ شبهه، فمثلما قالوا: رأيت الرجلان في: رأيت الرجلين، وقالوا: السلام علاكم، في السلام عَلَيكم، وأوضعته علاه[٦] في عَلَيّه.

ولذا قال بعض العلماء: إنها إلزام المثنىٰ الألف[٧]، وقال بعض: إنها قلب للياء الساكنة – إذا انفتح ما قبلها – ألفًا[٨]، وعلىٰ كلٍّ فالشواهد جاءت بهما معا، قال البغدادي: " لزوم الألف المثنىٰ في الأحوال الثلاثة لغة بني الحارث بن كعب؛ فإنهم يقلبون الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفًا [٩] ".

وهل كان العربي يتحدث بهما معًا القلب ياء وعدم القلب؟ أو كان لكل قبيلة لغة لا تتعداها؟.

يجاب عن هذا بأن العرب قد تكلم بعضهم بلغة بعض، وتعاوروا اللغات فيما بينهم، وربما جمع الشاعر بين اللغتين ؛ فـ " العربي لا يلحن، ولكنه يمكنه أن ينطق بغير لغته "[١٠]، وهذا ما ورد علىٰ لسان بعض الشعراء، كما تأتي الشواهد.

فقد قال أبو زيد الأنصاري: قال المفضل وأنشدني أبو الغول لبعض شعراء أهل اليمن[١]:

---

(١) إبراز المعاني ٥٩٣.

(٢) جامع البيان ١٦/ ١٨١.

(٣) إبراز المعاني ٥٩٢، معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٢.

(٤) شرح الأشموني ١/ ٧٩، شرح الشواهد للعيني ١/ ٧١.

(٥) شرح الأشموني ١/ ٧٩، شرح الشواهد للعيني ١/ ٧١.

(٦) النوادر / ٢٥٩، معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٢.

(٧) ينظر علىٰ سبيل المثال: شرح الكافية ٢/ ١٧٢، الإتقان ١/ ٢٤١، الهمع ١/ ٤٠، شرح الأشموني ١/ ٧٩.

(٨) معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٩٢، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٩) خزانة الأدب ٧/ ٤٥٢.

(١٠) حاشية الشيخ ياسين عل شرح التصريح ٢/ ٢٢٥ ط/ عيسىٰ الحلبي.

أي قَلُـوصٍ راكـبٍ تَـرَاهَـا
طاروا عليهن فشُـلٌ علاهـا
واشدد بمثنىٰ حقب حقواهـا
ناجيـــةً وناجيـــاً أباهـا

فقال :(عليهن) في البيت الثاني ولم يقل (علاهن)، وقال في آخره (علاها) ولم يقل (عليها).

ومثل ما فعل الراجز اليمني السابق، تجد رؤبة بن العجاج التميمي [من شعراء القرن الثاني الهجري] الرجَّاز يفعل مثله فقال :

نَصْرَانة قد ولدت نصرانـــا
أعرف منها الجِيدَ والعَيْنَـانا
ومِنْخَرَين أشبها ظبيـــانا[٢]

فقال (العينان)[٣] في العينين ، ثم قال: (ومِنْخَرَين)، وكلاهما منصوب، وهي رواية: الديوان[٤]، وشرح المفصل[٥]، والهمع[٦]، والأشموني[٧] وخزانة الأدب[٨]، ولعلها الرواية الصحيحة.

ولم تقف الشواهد علىٰ ما ورد سابقا، بل جاءت شواهد أخرىٰ شعرية[٩] كثيرة ونثرية تدعم هذه اللغة، فنجد أهل الحجاز يقولون في يَيْأَس: ياءس ويَيْبَس: يابس[١٠].

---

(١) النوادر / ٢٥٨، ٢٥٩، ٤٥٦، اللسان (علا) ٤/ ٣٠٩٢، (طير) ٤/ ٢٧٣٥ وإعراب ثلاثين سورة / ٣١، الجامع لإحكام القرآن ٦/ ١١/ ٢١٧ وعليهن في بعضها علاهن، وفي بعضها اختلاف في الترتيب.

(٢) ظبيان: اسم رجل. ينظر الجمل في النحو المنسوب للخليل ١٣٢، والنوادر ١٦٨، ففي النوادر ومنخران بالألف، وفي الجمل مقلتان بدلها.

(٣) وفتح النون لغة في المثنىٰ.

(٤) مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة ابن العجاج) ١٨٧ تصحيح: وليم بن الورد ط٢: دار الآفاق بيروت :١٤٠٠=١٩٨٠م.

(٥) شرح المفصل٣/ ١٢٩، ٤/ ٦٧ وفي هذين الموضعين روىٰ الأنف بدل الجيد، ١٤٣.

(٦) ١/ ٤٩.

(٧) الأشموني ١/ ٩٠.

(٨) ٧/ ٤٥٢.

(٩) جمهرة اللغة ٢/ ٣٧٢، شرح المفصل١/ ٥٣، شرح الكافية ٢/ ١٧٢، الهمع ١/ ٤٠، والإنصاف ١/ ١٨، خزانة الادب ٧/ ٤٥٣، شرح الشواهد للعيني ١/ ٧١، سر صناعة الإعارب ٢/ ٧٠٤-٧٠٦، معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٤، ولسان العرب (صرع)، (شغل)، (هبا) الصاحبي ٢٩.

(١٠) المقتضب للمبرد ١/ ٢٢٨، ٢٣٠، المحتسب ١/ ٣١٠.

بل جاء عن بعض العرب قلب كل ياء ساكنة ألفا، وكأنهم لا يستثنون شيئا؛ قال ابن يعيش :"وليس ذلك مما يختص بأسماء الإشارة، بل يكون في جميع الأسماء المثناة[١]"، ولذا قال أبو حاتم السجستاني [... ـ ٢٤٨هـ] ، الذي كان كثير الرواية عن أبي زيد الأنصاري [١٢٢-٢١٥ هـ]، قال " قال أبو زيد: سمعت من العرب من يقلب كلَّ ياء ينفتح ما قبلها ألفا فيقول: جئت إلاك، وسلمت علاك[٢]".

وهذه القراءة : قراءة (إِنَّ هذان لساحران) لا تخالف رسم المصحف، بل توافقه، والدليل على ذلك قول أبي عبيد : القاسم بن سلَّام [١٥٧ ـ ٢٢٤هـ]: " ورأيتها أنا في الذي يقال إنه الإمام مصحف عثمان بن عفان بهذا الخط (هذن) ليس فيها ألف، وهكذا رأيت رفع الاثنين في جميع ذلك المصحف بإسقاط الألف، فإذا كتبوا النصب والخفض كتبوهما بالياء ولا يسقطونها[٣]".

بل إن أبا شامة أكد موافقة القراءة للرسم بقوله : " فلهذا قرئت بالألف؛ اتِّباعا للرسم، واختارها أبو عبيد، وقال: لا يجوز لأحد مفارقة الكتاب وما اجتمعت عليه الأمة[٤]".

هذا ... فضلا عن أن أبا شامة ذكر أن الزجاج [٢٣٢ ـ ٣١١هـ] تمسك بهذه القراءة؛ لموافقتها رسم المصحف؛ ولأن عليها أكثر القراء؛ إذ قال الزجاج : " وكلما وجدت إلى موافقة المصحف سبيلا لم أُجِزْ مخالفته؛ لأن اتباعه سنة، وما عليه أكثر القراء[٥]"، وفوق ذلك فإن الزجاج ذكر أن مما يستحسن هذه القراءة؛ فقال : "ولكني أَسْتَحسِنُ (إنَّ هذان لساحران) بتخفيف (إنْ) وفيه إمامان: عاصمٌ والخليلُ، وموافقة أُبيٍّ في المعْنَى وإن خالفه اللفظ، ويُسْتَحْسَن أيضاً (إنَّ هذان) بالتشديد، لأنه مذهب أكثر القراء[٦]"، بل نص على مكانتها في العربية فقال : "وبه يُقْرَأ وهو قوي في العربية[٧]".

كما "اعتبر العلامة ابن هشام النحوي [٧٠٨ ـ ٧٦١ هـ] هذه القراءة أقيس؛ إذ الأصل في المبني أن لا تختلف صيغته[٨]".

وبهذا يتحقق قول ابن الجزري : " مِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَصِحَّ فِي الْقِرَاءَةِ مَا لَا يَسُوغُ فِي الْعَرَبِيَّةِ[٩]".

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٣٥٥..

(٢) إبراز المعاني ٥٩١.

(٣) السابق.

(٤) نفسه.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٦٤.

(٦) السابق.

(٧) نفسه.

(٨) المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة [... ـ ١٤٠٣هـ] ط٢ : مكتبه السنة، القاهرة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣م.

(٩) النشر ١/ ٤٢٩.

ومما جاء على هذه اللغة من شواهد :

أولا : **من القراءات** :

١ ـ ما روي عن الأعمش، أنه كان يقرأ: (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدان فيها)»[١]، في : ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ ... ﴿١٧﴾ [الحشر]﴾، فـ(خالدان) مثنى لزم الألف وهي في الأصل منصوبة على أنها حال من الضمير (هما) أما الرفع فعلى أنها خبر (أَنَّ) [٢]؛ وعلى الإعراب الأخير فليست محلا للشاهد الدال على إلزام المثنى الألف.

٢ ـ قرأ أبو سعيد الخدري ﷺ وعاصم الجحدري : (فكان أبواه مؤمنان) [٣] في : ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ...﴿٨٠﴾[الكهف]﴾ .

٣ ـ ما روي عن الحسن البصري [٢١ـ١١٠هـ] أنه قرأ: (ولا أدرأتكم به) بالهمز في ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ ...﴿١٦﴾[يونس]﴾

قال الفراء: « لا أعلم هذا يجوز من دريت ولا أدريت، إلا أن يكون الحسنُ همزها على طبيعته...»[٤]، وعلى هذا فترتيب مراحل الكلمة على قراءة الحسن : (أدرَيْتكم ⇦ أدراتكم ⇦ أدرأتكم)، وذكر الثعلبي [... ـ ٤٢٧هـ] أن هذه القراءة على «لغة بني عقيل؛ حيث يحولون الياء ألفا فيقولون: أعطات بمعنى أعطيت، ولبات بمعنى لبّيت، وجاراة وناصاة للجارية والناصية»[٥]، وسبق أن عقيلا ضمن القبائل التي تلزم المثنى الألف.

وشواهد القراءات السابقة ـ وإن كانت شاذة ـ دعم للشواهد، وحجة في الاستشهاد؛ ولذا قال السيوطي : " أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم آحادا أم شاذا.

وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذا لم تخالف قياسا معلوما بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه نحو: استحوذ ويأبى.

---

(١) الدر المنثور ١٤/ ٣٩٣.

(٢) شواذ القراءة : ٢٤١، ومختصر في شواذ القرآن : ١٥٥.

(٣) المحتسب لابن جني٢/ ٣٨٧، والكشاف للزمخشري٢/ ٦٩٢.

(٤) الدر المنثور ٧/ ٦٣٨.

(٥) الكشف والبيان ٥/ ١٢٤.

وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافا بين النحاة وإن اختلف في الاحتجاج بها في الفقه[١]".

ثانيا : نصوص الأحاديث والآثار:

٤ ـ ما روي عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ من حديثه ﷺ : "....أَمَّا أَنَا فَأُفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلَاثا، وَأَشَارَ بِيَدَيْهِ كلتاهما[٢]". في موضع (كلتيهما)؛ التي جاءت في رواية أخرى، قال عنها ابن حجر العسقلاني [٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ] : " ... وَحَكَى ابن التِّينِ أَنَّ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ (كِلْتَاهُمَا) ...[٣]".

٥ ـ ما روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ: " أَنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ سَرِيَّةً إِلى نَجْدٍ، فبلَغَ سُهْمَانُهُمُ اثناعشَرَ، فنفَّلهم بعيرًا بعيرًا[٤]".

٦ ـ ما روي في صحيح ابن حبان بإسناد قوي "عَنْ قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ، عن أبيه قال : " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ»[٥]".

٧ ـ وروي بلفظ الرواية السابقة «لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ» في سنن أبي داود عن قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ أيضا، بإسناد صحيح[٦].

٨ ـ ما ورد في صحيح مسلم : من قول سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ للنبي ﷺ : " زَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا حَبِطَ عَمَلُهُ، قَالَ: «مَنْ قَالَهُ؟» قُلْتُ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ ﷺ : «كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأَجْرَيْنِ» وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، «إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ قَلَّ عَرَبِيٌّ مَشَى بِهَا مِثْلَهُ»[٧].

---

(١) الاقتراح في أصول النحو وجدله : جلال الدين السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر [٨٤٩ ـ ٩١١هـ] تح: د. محمود فجال٦٨ ،ط١: دار القلم، دمشق : ١٤٠٩ = ١٩٨٩م.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح : ابن الملقن : عمر بن علي بن أحمد الشافعي [... ـ ٨٠٤هـ] (باب مَنْ أَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ ثَلَاثًا) ٤/ ٥٥٩، ط١: دار النوادر، دمشق، سوريا :١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨ م.

(٣) فتح الباري ١/ ٣٦٧: دار المعرفة، بيروت : ١٣٧٩هـ.

(٤) علل الحديث لابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي [... ـ ٣٢٧هـ] ١/ ٢٦٣، ط١: مطابع الحميضي : ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

(٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تح: شعيب الأرنؤوط ٦/ ٢٠٢، حديث رقم (٢٤٤٩) ، ط٢: مؤسسة الرسالة، بيروت :١٤١٤ = ١٩٩٣م.

(٦) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري [٢٠٦ـ ٢٦١هـ] تح: محمد فؤاد عبد الباقي٣/ ١٤٢٧، حديث رقم ١٢٣ (١٨٠٢) ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٧)سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتاني [٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ] تح : محمد محيي الدين عبد الحميد٢/ ٦٧ حديث رقم : (١٤٣٩)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

وعلق النووي على شرح هذا الحديث بقوله :« هكذا هو في معظم النسخ (لأجران) بالألف وفي بعضها (لأجرين) بالياء، وهما صحيحان[١] ».

٩ ـ ومما ورد من التصرف في بناء الكلمات بما يوافق تلك اللغة، ما قيل في كلمة الهُداهِد؛ إذ " قال الأصمعي : الهُداهِدُ يعني به : الفاختة ... ... أو الهُدهُدَ، وقال اللحياني : قال الكسائي : إنما أراد بِهُداهِدٍ تصغير هُدهُدٍ، فأنكر الأصمعي ذلك ، وهو الصحيح ... فعلى هذا إنما هو هُدَيْهِدٌ، ثم أبدل الألف مكان الياء على ذلك الحد[٢]"، أي أن الكلمة :

هُدْهُد ⬅ هُدَيْهِد ⬅ هُداهِد؛ فأبدلت الياء الساكنة المفتوح ما قبلها ألفا.

ثالثا : **الشعر** :

١٠ ـ قول رؤبة بن العجاج التميمي :

واهــاً لسلمى ثم واهــاً واهـا
يا ليتَ عَيناهــا لنـــا وفــاها
ومــوضعَ الخلخال من رجلاها
بثمـــن يَرْضَـــى به أبـــاها
إنَّ أَبَـــاهَا وَأَبَـــا أَبَاهَـــا
قَـــدْ بَلَغَا فِي الْمَجْـــدِ غَايَتَـاهَا[٣]

والأصل أن يقول : (عينيها)، و (رجليها)، و(غايتيها).

١١ ـ وقال المُتَلَمِّس : جرير بن عبدالمسيح الضُّبَعي [... ـ ٤٣ ق.هـ] الشاعر الجاهلي، وهو من قبيلة ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة ، إحدى قبائل بكر بن وائل :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى ∴ مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[٤]

والرواية في الديوان (لنابيه) وبهذا فليست محلا للشاهد، وقال الأزهري [... ـ ٣٧٠هـ] : "هَكَذَا أَنشدَه الفَرَّاء (لناباه) على اللُّغَة القَدِيمة لبَعض الْعَرَب"[٥].

١٢ ـ وقال هوبر الحارثي [... ـ ...] وهو من بني الحارث بن كعب، والبيت، أنشده الكسائي:

تَزَود مِنَّا بَيْنَ أُذنَاهُ طَعْنَةً ∴ دَعَتْهُ إلى هابي التُّراب عقيم[٦]

---

(١) السابق ٣/ ١٤٢٨.
(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٤/ ٩٤.
(٣) من الرجز، في ملحق ديوانه ١٦٨.
(٤) ديوانه ٣٤، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٥١.
(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ٩٠.
(٦) سر صناعة الإعراب ٢/ ٣٣٩، ٧٠٤، التصريح: ١/ ٦٨. الأشموني مع حاشية الصبان: ١/ ٧٩.

١٣ ـ وقال آخر :

كأن صريف نابَاهُ إذا ما ∴ أمرَّهما ترنَّم أخطبان[١]

وعلى ما سبق عرضه فالشواهد كثيرة ، ولغة إلزام المثنى الألف لغة مشهورة، وقد نزل القرآن على لغات شتى وأحرف عدة، ، فلا غرابة أن يكون في القرآن وجهُ ورد على لغة لبعض قبائل العرب المشهورة؛ أستغفر الله أقصد : على لغة كثير من قبائل العرب المشهورة!!.

(١) السابق.

الخاتمة

مما سبق عرضه في هذا البحث تبين أن قراءة (إنَّ هذان لساحران) بتشديد (إنّ) و(هذان) بألف بعد الذال متواترة عن معظم قراء التواتر(٧٥٪)، وأنه لا يمكن أن يقرأ جمهور التواتر بما لا يصح في العربية، وأن أصح ما حملت عليه تلك القراءة أنها على لغة من يلزمون المثنى الألف، كما أن البحث قد عرض من الشواهد المتنوعة شعرا ونثرا ما يؤيد تلك القراءة، وأن القبائل التي نسب إليها إلزام المثنى الألف كثيرة بيانها في الجدول الآتي:

م	القبيلة	م	القبيلة
١	بكر بن عبد مناة	١٠	عُذْرَة
٢	بكر بن وائل	١١	عُقَيل
٣	الحارث بن كعب	١٢	عُكْل
٤	خَثْعَم	١٣	العنبر
٥	ربيعة	١٤	قريش
٦	زبيْد	١٥	كِنَانة
٧	سُلَيم	١٦	مُرَاد
٨	ضُبَيْعة	١٧	الهُجَيم
٩	طئ	١٨	هَمْدان

مما يؤكد أن من غير الممكن أن تنطق ثماني عشرة قبيلة ـ على رأسها قريش ـ بلغة ينزل بها القرآن ثم يُعْترض عليها؟!، فضلا عن ورودها في أحاديث النبي ﷺ الذي تكلم بلغة قريش، وعلى لسانه الشريف ﷺ برزت لغة إلزام المثنى الألف في ثنايا ما صح من حديثه ﷺ.

كما أن من يتابع توزيع تلك القبائل على الخارطة؛ يتضح له أن هذه اللغة : لغة إلزام المثنى الألف قد شملت شرق الجزيرة العربية وغربها، وشمالها وجنوبها ووسطها : الحجازيين والتميميين ، القحطانيين والعدنانيين، فمن ذا الذي بقي من العرب يحتج بكلامه بعد هؤلاء، من اللسان العربي المبين، الذي نزل به القرآن الكريم ؟!.

وصلى الله على البشير النذير وعلى آله وصحبه وسلم.

أهم مصادر البحث

١ ـ إبراز المعاني من حرز الأماني لأبي شامة :عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي [٥٩٩ – ٦٦٥ هـ] تح : إبراهيم عطوة عوض، ط. مصطفى الحلبي : ١٤٠٢هـ =١٩٨٢م .

٢ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد بن أحمد : البنا الدمياطي [... ـ ١١١٧هـ] تح : د . شعبان محمد إسماعيل . ط ١ : عالم الكتب بيروت ، والأزهرية . القاهرة : ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

٣ ـ الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر [٨٤٩ ـ ٩١١هـ] تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب :١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٤ ـ إعراب القرآن : أحمد بن محمد بن إسماعيل : أبو جعفر النحاس [٠٠٠ – ٣٣٨ هـ] تح : د.زهير غازي زاهد ، ط. عالم الكتب ، بيروت :١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م .

٥ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه [قبل ٢٩٠ـ ٣٧٠هـ] ط : دار الكتب المصرية : ١٣٦٠هـ =١٩٤١م.

٦ ـ الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي الدمشقي [١٨٩٣ ـ ١٩٧٦م] ط ٧ : دار العلم للملايين . بيروت : ١٩٨٦م .

٧ ـ الاقتراح في أصول النحو وجدله : جلال الدين السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر [٨٤٩ ـ ٩١١هـ] تح: د. محمود فجال،ط١: دار القلم، دمشق : ١٤٠٩ = ١٩٨٩م.

٨ ـ البحر المحيط : محمد بن يوسف بن علي بن حيان : أبو حيان الأندلسي [٦٥٤ ـ ٧٤٥هـ] ط ٢ : دار الفكر : ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م .

٩ ـ التوضيح لشرح الجامع الصحيح : ابن الملقن : عمر بن علي بن أحمد الشافعي [... ـ ٨٠٤هـ] ط١: دار النوادر، دمشق، سوريا :١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨ م.

١٠ ـ جامع البيان في القراءات السبع : أبو عمرو الداني : عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر [٣٧١ـ ٤٤٤هـ] ط١: جامعة الشارقة ، الإمارات : ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧ م.

١١ ـ الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري: أبو عبد الله القرطبي [٦٠٠ – ٦٧١ هـ] تح: أحمد البردوني ، إبراهيم أطفيش . ط٢ : دار الكتب المصرية . القاهرة : ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م.

١٢ ـ جمهرة أنساب العرب: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي [٣٨٤ – ٤٥٦ هـ] ط٣: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان: ١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣ م.

١٣ ـ حاشية الشيخ ياسين عل شرح التصريح على التوضيح، ط. عيسى الحلبي.

٤١ ـ الحجة للقراء السبعة لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي [٢٨٨ – ٣٧٧ هـ]. تح: بدر الدين قهوجي وزميله . ط ١ : دار المأمون للتراث . بيروت : ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

١٥ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣ هـ).تح : عبد السلام هارون،ط٢:الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٧٩م.

١٦ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : عبد الرحمن بن أبي بكر : جلال الدين السيوطي [٨٤٩ – ٩١١ هـ] ، ط. دار الفكر، بيروت : ١٩٩٣ م .

١٧ ـ زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي أبو الفرج البغدادي [٥٠٨ – ٥٩٧ هـ] تح : محمد زهير الشاويش ، شعيب الأرناؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ، ط : المكتب الإسلامي : ١٤٠٤هـ.

١٨ ـ سر صناعة الإعراب لأبي الفتح عثمان بن جني [قبل ٣٣٠ ـ ٣٩٢هـ] تح د. حسن هنداوي. ط ١: دار القلم. دمشق: ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

١٩ ـ سنن أبي داود : أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو السَّجِسْتاني [٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ] تح : محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .

٢٠ ـ شرح الكافية الشافية : ابن مالك : محمد بن عبد الله، الطائي (ت: ٦٧٢هـ) تح : عبد المنعم هريدي، ط١: جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة.

٢١ ـ شرح المفصل : لابن يعيش : يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا محمد بن علي [٥٥٣ – ٦٤٣ هـ] ط : المنيرية . القاهرة .

٢٢ ـ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين : أحمد بن فارس بن زكريا [٣٢٩ – ٣٩٥ هـ] .ط ١ : دار الكتب العلمية . بيروت : ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

٢٣ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تح: شعيب الأرنؤوط، ط٢: مؤسسة الرسالة، بيروت :١٤١٤ = ١٩٩٣م.

٢٤ ـ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري [٢٠٦ـ ٢٦١هـ] تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٥ ـ علل الحديث لابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي [... ـ ٣٢٧هـ] ١/ ٢٦٣، ط١: مطابع الحميضي : ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

٢٦ ـ في الإعراب ومشكلاته " بحث لـ : د . أحمد علم الدين الجندي : مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : العدد ٤٦: ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

٢٧ ـ الكتاب : سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر : أبو بشر [١٤٨ – ١٨٠ هـ] تح:عبد السلام هارون، ط ٣ :مكتبة الخانجي، القاهرة :١٤٠٨هـ .

٢٨ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن حموش [: أبي طالب] القيسي [٣٥٥ـ٤٣٧] تح: د.محي الدين رمضان .ط: ٣. مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

٢٩ ـ لسان العرب : لمحمد بن مكرم : جمال الدين بن منظور [٦٣٠ ــ ٧١١هـ] دار صادر . بيروت.

٣٠ ـ مجمع البيان فىٰ تفسير القرآن للفضل بن الحسن بن الفضل : أبي علي الطبرسي [٤٧١ ـ ٥٤٨هـ] ط . دار مكتبة الحياة . بيروت . لبنان : ١٣٨٠هـ =١٩٦١م .

٣١ ـ مجموع أشعار العرب (ديوان رؤبة ابن العجاج) تصحيح : وليم بن الورد ط٢ : دار الآفاق بيروت :١٤٠٠=١٩٨٠م.
٣٢ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جنى [... ـ ٣٩٢هـ] تح : علي النجدي ناصف وزميليه،ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : ١٤١٤هـ = ١٩٩٤ م .
٣٣ ـ المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة [... ـ ١٤٠٣هـ] ط٢ : مكتبه السنة، القاهرة : ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣م.
٣٤ ـ معانى القرآن للأخفش أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) تح: د. هدى محمود قراعة، ط١ : مكتبة الخانجي، القاهرة :١٤١١ هـ = ١٩٩٠م.
٣٥ ـ معانى القرآن للفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله [٠٠٠ ـ ٢٠٧ هـ] تح: أحمد نجاتي وزميليه، ط: الدارالمصرية للتأليف والترجمة. القاهرة.
٣٦ ـ معاني القرآن : لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (ت ٢١٥ هـ).تح : د. الورد.ط١: عالم الكتب، بيروت : ١٤٠٥ هـ =١٩٨٥ م.
٣٧ ـ معاني القرآن وإعرابه : أبو إسحاق الزجاج : إبراهيم بن السري [٢٢٧ـ٣١١هـ] تح: عبد الجليل عبده شلبي ، ط١ : عالم الكتب، بيروت : ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.
٣٨ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: ٧٤٨هـ) ط١ : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان :١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م.
٣٩ ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني [٣٧١ ـ ٤٤٤هـ] تصحيح : محمد الصادق قمحاوي . ط . مكتبة الكليات الأزهرية.
٤٠ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين : لابن الجزري [٧٥١ـ٨٣٣هـ] ط١ : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان :١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.
٤١ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٤٢٩، تح: الشيخ علي محمد الضباع، ط. المطبعة التجارية الكبرى.
٤٢ ـ النوادر في اللغة: سعيد بن أوس بن ثابت : أبو زيد الانصاري [١١٩- ٢١٥هـ] تح : محمد عبد القادر أحمد، ط ١: دار الشروق، بيروت : ١٤٠١هـ = ١٩٨١ م .
٤٣ ـ همع الهوامع : شرح جمع الجوامع : عبد الرحمن بن أبي بكر : جلال الدين السيوطي [٨٤٩ – ٩١١ هـ] ط. السعادة ، القاهرة : ١٣٢٧هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	تمهيـــــــد	١٢
٢	قراءة(إِنَّ هـٰذان لَسَاحِرَانِ) :	١٢
٣	توجيه القراءة : الرأي الأول	١٥
٤	الرأي الثاني	١٧
٥	الرأي الثالث	١٧
٦	الرأي الرابع	١٧
٧	الرأي الخامس	١٨
٨	الرأي السادس : الرد اللغوي الحديث	١٨
٩	الرأي السابع	١٩
١٠	خارطة القبائل التي تلزم المثنى الألف	٢٢
١١	رواة اللغة التي تلزم المثنى الألف	٢٢
١٢	تفسير الظاهرة	٢٣
١٣	ما جاء على هذه اللغة من شواهد :	٢٦
١٤	أولا :من القراءات	٢٦
١٥	ثانيا : نصوص الأحاديث والآثار:	٢٧
١٦	ثالثا : الشعر :	٢٨
١٧	الخاتمة	٣٠
١٨	أهم مصادر البحث	٣١
١٩	فهرس الموضوعات	٣٤